الا انه من المحال ان يكون الشقاء معدوما بين الناس وغير حاصل بكل معناه ولكنه حين يقع لا يكون على الحمال في الشارع والعامل في المقطع وامثالهما بل هو يقع على صاحب الادراك الواسع والاماني البعيدة الذي يدفعه سوء حظه او هفوة من هفواته الى الاضطرار لان يكون حمالاً وخادما جاهداً فانه في هذه الحال يكون متحملاً مصائب النفس والجسد في آن واحد فترى يده تعمل وجسمه يتعب وذهنه يجول وافكاره تضطرب واماله تروح وتجيء والحيلة معه تشتد وتضعف بحيث يغدو كأنه قطعة مجسمة من شقاء محض وبؤس صرف

ثم انه ليس شرطاً ان يكون حمالاً او حجاماً ليكون كذلك بل يكفي لشقائه ان يكون عارفا بمنزلة نفسه ثم تخونه الاقدار بان ينزل درجة واحدة عن تلك المنزلة فانه حينئذٍ يكون شقياً ويكون من حقك ان تأسى له حين تراه كذلك ولعل اكثر الذين ينتحرون يكونون من رجال هذه الاوصاف لان العامل الجاهل يندر ان ينتحر كما هو الشأن في البهائم اذ يندر بينها الانتحار

الاحتيال على المال

صار للغنى بين الناس اسباب كثيرة لا تعد وذلك لفرط ما امعنوا في التحصيل ومالوا الى الاختراع والاستنباط حتى صار الانسان صنيعة عقله وكده بعد ان كان صنيعة بخته اومورثه ولكن الناس مع كل الذي توصلوا اليه لم يشأوا ان يدعوا هذا البخت دون ان يستفيدوا منه اذ هو ذو العلاقة الاولى بكل عمل مهما بدا في الظاهر انه لا دخل له فيه ولذلك اكثروا من المراهنات والاعتماد على الانصبة حتى صار غير غريب لديك ان تمر اليوم بالرجل فتراه حمالاً وتمر به في الغد فتراه موسراً غنياً بنصيب ناله او مراهنة غنمها او مقامرة ربح بها او غير هذا مما ولدته المدنية واعانت عليه كثرة المال بين الايدي

ولكن بعض الناس كأنهم رأوا ان البخت لا قيد له ولا نظام ولا هو بمضمون النيل لدى كل محاولة فعمدوا الى التدجيل والمخرقة معتمدين في ذلك على الجوانب الضعيفة من عقول البشر كالايهام بالشفاء من الامراض المعضلة او حكاية ما يجيء به الغد والاطلاع على مغيبات القدر وقد نجح الكثيرون في ذلك نجاحاً فات النجاح من الحظوظ بمراحل

الا ان اكثر الحيل جوازاً على عقول البسطاء حتى اولي الفهم هو استنباط العقاقير والتراكيب الكيماوية وايهام الشفاء بها فانها لا يزال لها في اوربا المجال الواسع ولاصحابها منها الرزق الشامل الا انها ليست كلها ادوية

كاذبة بل ان بعضها صحيح نافع ولكن افراط الربح منها مما لا يلائم حقيقتها ولذلك تعد الى التدجيل اقرب منها الى الرزق الحلال

ولقد رووا ان رجلاً في انكلترا نال من عقاقيره ملايين من الجنيهات ببعض الحق كما نالها مستنبط الديناميت بكل الحق ولكن الرجل كان كأنه شاعر بتلك الحال فكان سخياً متلافاً حتى انه وهب في اثناء حياته لانشاء الملاجيء والمستشفيات ٦٠٠ الف جنيه عدا الهبات الخصوصية ثم مات وهو على ثروة تعد بالملايين الا ان رزقه هذا لم يجيء من التوفيق فقط بل جاء من الجهد ووافر الحيلة لانه كان ينفق على اشهار دوائه ٤٥ الف جنيه اجرة اعلانات في السنة ولعل ذاك الدواء كان على شيء يذكر من النفع والا لما شاع ذاك الشيوع ولكنه بالقياس الى تلك الثروة مما لا يعد شيئاً مذكوراً

الا ان التدجيل وان كان شائعاً في كل زمان فانه كان في الماضي اكثر منه الان حيث كان الجهل مخيماً على عقول الاكثرين وحيث كانت الحكومات في شغل شاغل من الحروب والسياسات عن مراقبة الناس وما يفعلون ولذلك لم يكن ليعز على الحاذق المحتال ان يدعي ما يشاء ويوهم بما يشاء فينال ما يشاء كما حدثوا عن رجل ايطالي في منتصف القرن الثامن عشر فانه صنع دواء يباع بالقطرات وادعى انه يشفي لكل علة فصدقه الجماهير حتى صار يبيع القطرة الواحدة منه بجنيهين وهي لا تسوى شيئاً ولذلك نال ثروة طائلة من دواء لم يكن له جزء من هذا الطول في الشفاء

ولقد ذكروا عن هذه الحالات شيئاً كثيراً لا يصح ان تدعى كلها مخرقة لانها كانت على شيء من النفع ولكن النجاح منها كان بواسطة الجهد

والحيلة ونشر الاعلانات في كل مكان واغراء الاطباء للاعتراف بصحتها ونحو ذلك مما يعد مقبولاً شيئاً كما انه مما يزيد في قبوله كون اصحابها كانوا بذالين وهابين الى حد السرف كأنهم يريدون بذلك التكفير عما نالوه بحق ضعيف ولكن التدجيل الصحيح هو ما رووه عن رجل توصل الى دواء سماه الفراش السماوي وزعم ان تركيبه قد كلفه ستين الف جنيه وادعى ان السعادة تأتي لمن ينام عليه ويدفع كل ليلة ٥٠ جنيهاً ويظهر ان كثيرين قد صدقوه فربح نحو ١٥٠ الف جنيه ولكن الله عاقبه على فعله فمات على نهاية الفقر

ولقد حدثوا عن رجل آخر احتال على الغنى بان صنع عقداً وزعم ان كل طفل يلبسه يجتاز دور التسنين دون خطر ولا الم بالاطلاق وقد صدقه الناس حينئذٍ فكان يبيع العقد بخمسة شلنات للفقير وجنيه للغني وخمسة للعظيم الوجيه وبذلك نال من تدجيله سبعين الف جنيه بين عيون الناس وابصارهم وهو آمن مطمئن

الا ان العامة تعذر اذا جازت عليها حيل الحذاق البارعين في الايهام واما الحكومات التي لا عذر لها فقد جازت عليها بعض تلك الحيل وخسرت بسببها مبلغاً كبيراً وذلك ان امرأة في انكلترا توصلت الى صنع حبوب زعمت انها تشفي من الامراض فعلمت بها دار الندوة وتعهدت لها بدفع خمسة آلاف جنيه اذا اطلعتها على سر تركيبها لتنتفع بها الحكومة فرضيت المرأة وباحت لها بالسر فاذا تلك الحبوب مركبة من مسحوق صدف البزاق وقشر البيض ولقد كان لظهور ذلك ضحك عظيم في كل البلاد

اما في الوقت الحاضر فلا نظن ان التدجيل بالغ ذلك المبلغ بين جمهور

الناس وان كان يجري بالتأكيد بين طبقات العوام دون ان يدري به الاطباء والحكومات لان التراكيب والحبوب التي يعلن عنها في الجرائد لا يمكن ان تكون بلا فائدة والا لما طال عمرها وكان الربح منها وفيراً ولكن هناك مخرقات اخرى تجري دون ان ينتبه اليها وهي طب الدجالين بين العوام وفتح الصيدليات بدون رخص قانونية والتنجيم والاطلاع على الغيب فان كل هذا يأتي باشد الاضرار على الاجسام والعقول والحكومات ولا سيما الشرقية غافلة عنه مع ان امره اخف بكثير من التي ذكرناها لان تلك لم تكن الا حيلة تنفع صاحبها ولا تضر غيره الا من جهة المال واما هذه فتنفع صاحبها وتؤذي سواه الى حد القتل وهذا ما لا حيلة فيه على ما يظهر الا بتمدن الشعب نفسه ووصوله الى درجة التمييز . واما مسألة الصيدليات والتدجيل ببيع العقاقير فما لا يحسن ترك علاجه الى طول الزمن لان هناك ارواحاً كثيرة تقصر من ذلك الطول . ولقد سرنا ان حكومتنا اخذت تعتني بامر الصيدليات وتسن لها القوانين الضيقة حتى يدفع ثمن الدواء بحق وينال الشفاء بحق

تبصر شاعر

تبارك وجه الله هل يخلد امرؤ ... له من لياليه الى القبر سائق
أراع بخطب الموت حتى كأنه ... جديد فقلبي واجف منه خافق
وفي كل يوم لي خليل مودع ... احس رداه او خليط مفارق
واعلم اني ان سبقت الى الردى ... مجدّ على آثار صحبي فلاحق
هم خلفوني ما الذ بصالح ... من العيش الا ما تألى الاصادق
ومن ظن ان الدهر يترك ناعماً ... بغبطة حال فهو احمق مائق
ارى العيش ذا طعمين اري وحنظل ... وما منهما الا له المرء ذائق
وقد يستوي امر الفتى ثم يلتوي ... فيمسي وقد اعيت عليه الطرائق
كأن لم يفرّج غمة بمضيئة ... من الرأي تجلو لياها وهو غاسق

* * *

يظن الفتى ان الحظوظ معدّة ... وان قضاء الله في الخلق سابق
ويشكو تصاريف الزمان ويغتدي ... لما ساء منها وهو غضبان حانق
الا ايها الشاكي رويدك انني ... شكوت فلم يطرق بسؤلي طارق
ذعرت سوام الشعر في طلب المنى ... فالوت به من دون تلك العوائق
وظن اناس انني ابتغي الغنى ... به فارائي تارة وانأفق
ترى زعموا ان المكارم حية ... وان الندى لم تخترمه البوائق
فهل كسيت تلك العظام جلودها ... وردت لها ارواحها والخلائق